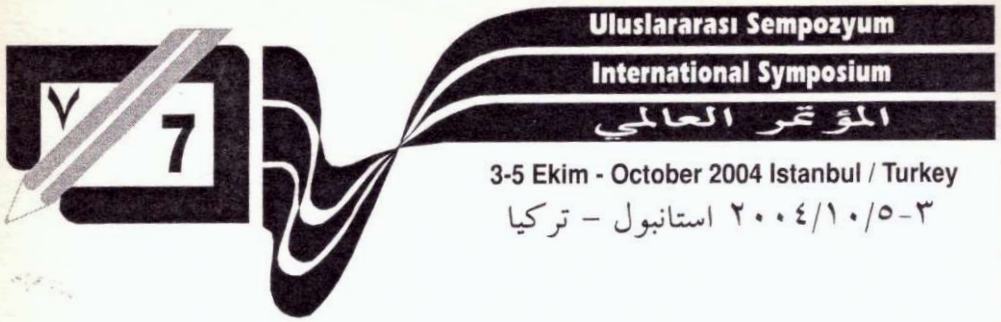

المؤتـــمر العالمي الســـابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
Ekim 2004
الترقيم الدولى
ISBN: 975-269-043-2
شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

مساهمة القيم الدينية
في التفاهم وإصلاح العالم الممزق

في ضوء " رسائل النور " للإمام سعيد النـــورسي

أ.د. أزهر أرشد
رئيس جامعة علاء الدين الإسلامية
بإندونيسيا

إخوتي الأعزاء الباحثين المفكرين الأجلاء .

لا يسعني في مستهل هذا البحث إلا أن أتقدم بخالص شكري وأعلى مراتب تقديري لمنظم هذا المؤتمر الرفيع المستوى الذي منحني جزءا لا بأس به من تقديره وامتنانه كي أشترك في فاعليات المؤتمر بتقديم بحث والاستفادة في نفس الوقت من الأخوة الباحثين المفكرين الآخرين في أطار تجلية المواقف الإسلامية والنظرات الثاقبة لما جرى في العالم اليوم من قبل أحد أقطاب الفكر الإسلامي المعاصر، وعلامة من علامات العلم البارزة والتي تستمر بصماتها إلى وقتنا الحاضر ألا وهو الإمام بديع الزمان سعيد النورسي.

وزادني فرحا حيث قبل البحث وأنا لست ممن يتكلم التركية ولا العربية ولا الانجليزية وإنما جئت من إحدي البلاد الإسلامية التي أولت اهتماما بالغا لأهمية اللغة العربية لشدة ارتباطها بالفهم العميق للدين الاسلامي والذي لا يخفى على أحد منا أمرها طوال تاريخنا الإسلامي المديد .

إن البحث الذي أتقدم به إلى حضرات الحضور في هذه اللحظة الطيبة –بمشيئة الله تعالي – يتمحور حول مساهمة الإمام سعيد النورسي في توظيف القيم الدينية من أجل إيجاد التفاهم وإصلاح العالم الذي تعرض للتمزق والنـــزاع، ذلك لأن جزءا كبيرا من حياته مليئة بالحوادث الصراعية التاريخية بين الطوائف المختلفة، ووجدنا وقتئذ سعيه

الدؤوب إلى حل هذه المشكلة وفكها من خلال نظرته الثاقبة إليها، ووجدنا كيف تمكن من تمكين القيم الدينية الرفيعة من حل هذه المشكلات المصيرية.

ولإيفاء المنشود، أقدم البحث بمقدمة بسيطة لعل من شأنها نتبين ما يقصده البحث، ونرجو الله أن يسدد خطانا في تجلية الحقائق فأقول وبالله التوفيق :

إنه بفضل التقدم في مجال التقنية الحديثة، لم يعد بلا شك ما أطلق عليه ج. برلوند [1]" العالم كقرية صغيرة " خيالا وحلما، بل أصبح متحققا أمام أعين الناس. وازداد الأمر وضوحا عندما ننظر إلى الواقع حيث إن وسائل الحياة الميسرة متوفرة، والتي تتمثل في نظام الإتصالات الذي يربط العالم بعضه ببعض بفضل القمر الصناعي، وفي نظام الطائرات الفريد الذي يمكن الإنسان من الانتقال والتحول من مكان إلى آخر بشكل أسرع من سرعة الصوت، وفي نظام الكمبيوتر الذي يقدر على كشف النقاب عن الحقائق بصورة أسرع من قدرة الإنسان نفسه على صياغة تساؤلاتهم. إضافة إلى أن هناك وسائل مختلفة تمكن الإنسان من التعامل بعضهم مع بعض أكثر تقاربا-سواء كان عن طريق مباشر أو عن طريق وسائل إليكترونية- وبصورة أكثر سهولة.

والسؤال الذي فرض نفسه ؛ هل العالم الذي أصبح قرية صغيرة سيكون مجرد تجمع أم سيكون عبارة عن مجتمع إنساني حقا ؟، هل سيكون سكان هذا العالم قادرين على احترام واستغلال هذا الاختلاف والتنوع لأغراض إنسانية نبيلة؟ .

يعلم كل واحد منا أن التكنولوجيا والعلم الحديث يحملان في طياتهما كثيرا من التغيرات في حياة الإنسان في الوقت الراهن، حيث إن الكرة الأرضية كأنها تميل إلى التقلص بشكل مستمر. ومن المؤشرات على هذا أننا نستطيع قضاء نوع من السفر في هذه الأرض من قطب إلى آخر خلال قدر بسيط من الساعات بل دقائق. فالعالم يتقلص إلى قرية، والدول على اختلافها وتنوعها أصبحت وكأنها قرية صغييرة، وهكذا. لكننا- والحالة هذه-مالبث الأسف الشديد يجتاح قلوبنا، ذلك لأن هذا النوع من الإنكماش الذي حصل في عالم المسافات لا يتجاوز كونه ظاهرة مادية فقط، على معنى أن سكان هذا العالم-على المستوى النفسي- مازالوا مفترقين إلى تكتلات متنوعة. ففى المستوى السياسي مثلا، نجد كثيرا من الأوساط السياسية يعمل على إيجاد وتطوير الإخوة العالمية، لكنهم –للإسف الشديد-في الواقع العملي لا يولون أي اهتمام مطلوب للـــقـــيـــم

الديـــنـــيـــة التي من شأنها تمكنهم من تذليل العقبات في القضية، والتي تتمثل في اختلاف معتقدات البشر وقبائلهم وأجناسهم .

في هذه النقطة بالذات، نجد الإمام سعيد النورسي لا يرى أي تبرير لتأثير اختلاف المعتقدات والقبائل والأجناس في خلق الصراع والعداء بين الجميع لأن هذا مما يختلف مع القيم الدينية يقول في هذا : (**في الوقت الحاضر يجب الإتفاق ليس فقط مع الأخوة المسلمين، بل حتى مع الروحانيين المتدينين من النصارى وعدم الإلتفات الى مسائل الإختلاف وعدم الخوض في المنازعات؛ ذلك لأن الكفر المطلق يشن هجومه**)[2]، لعلنا نفهم أن السياق الذي أصدر الإمام فيه هذا الكلام يدلنا على أن المسلمين والنصارى يجب أن يكونوا في صف واحد لمواجهة عدوهم الوحيد، ولا يخلقن اختلافا والمنازعات أمام عدوهم ألا وهو المادية الإلحادية التي لا تعترف بالألوهية ولا تقيم للإله أي وزن. فحسب رأى الإمام سعيد النورسي فانه في مواجهة الالحاد الظالم فان على المسلمين الاتحاد " ليس فقط مع اخوته في الدين، بل ربما حتى مع النصارى المتدينين الحقيقيين ومع الروحانيين منهم"[3]

صحيح أن الطموح الشديد في توطين السلام العالمي وظهور العلاقة بين الشعوب في العالم بشكل ودي حميم نجح في تكوين " جامعة الدول " في مستهل القرن الماضي. رغم هذا، فإن هذه المحاولة –للأسف الشديد – تعرضت للفشل في السنوات التالية بسبب يبدو جليا وهو أن جُلّ الأعضاء المنضمة إلى هذه الجامعة أظهرت سياسات ومواقف تتميز في شكلها الواضح بالأنانية وعدم الإنسانية بالنسبة إلى دول أخرى[4] .

وإذا نظرنا إلى الإمام في هذه النقطة نجده يقول : (**ان لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف : الحب في الله والبغض في الله والاحتكام الى امر الله في الامور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان.. نعم، ان الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يروم العدالة**)[5]

إن السعي إلى توطين السلام أحرز النجاح مجددا في تكوين هيئة دولية تدعى بـــ" الأمم المتحدة ". لكن الأمر الذي لا يخفى على أحد أن هذه الهيئة –على الصعيد العملي–غير قادرة على تحقيق أهدافها المطلوبة، حيث إن الأغلبية من قراراتها لا تستطيع

أن تحرك ماء راكدا، ولم تـــترك أي أثر من حيث التطبيق. فمهما كان في أيدى هذه الجمعية من إدارات ووكالات إلا أنها —بوصفها رائدة وداعية السلام –لا حول ولا قوة لها في إحراز تقدم ملموس في مجال السلام[6].

قيمة " العدالة " والإمام سعيد النورسي .

لا ينكر أي واحد منا أن العاملين الاقتصادي والسياسي كانا وراء الأزمة في مجال السلام الدولي. غير أننا لا يمكن أن يفوتنا أن هناك عاملا في غاية الأهمية لا ينبغي إهماله في تحليل أسباب أزمة السلام وهو سوء فهم كل من أتباع الأديان لتعاليمها الصحيحة. لعل السبب في فشل الهيئات الدولية الداعية إلى السلام في هذه القضية يرجع إلى عدم قدرتها على تحقيق العدالة لجميع الشعوب، ولم تعامل الجماعات العرقية، والجماعات الشعبية معاملة الشركاء الذين لهم حقوق على مستوي واحد في المجتمع الشعوبي.

من هنا ظهرت حاجتنا إلى القيمة التي أكدها القرآن الكريم والسنة النبوية وبلورها علماء الإسلام في تاريخه المديد –**ومنهم الإمام سعيد النورسي كما سنرى بعد قليل**– وهي قيمة العدالة. إن القرآن الكريم أكد على أهمية بالغة لقيمة العدالة حيث قال الله جل شأنه في كتابه : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وزاد أمر العدالة أهمية عندما فرض الإسلام في كل صلاة جمعة أن يتلو الخطيب هذه الآية الكريمة فكأنه من أساسيات الحياة الإسلامية .

لو تتبعنا الأحداث التاريخية، خاصة في الآونة الآخيرة لوجدنا أن العدالة كادت تكون سببا أوليا في نشوء السلام والعنف وجودا وعدما، فهناك جدلية بين هذه الأمور الثلاثة : العدالة والسلام والعنف. فالعنف في أغلبية وجوهه يأتي من خيبة آمال الشعب من كل جوانبها من الراعي أو الحكومة. فكان إمامنا سعيد النورسي صائبا عندما يقول : **(والعدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية، لتصان هيبة الحكومة وعظمة الدولة.. غير انه لا يبدو هنا الا جزءٌ ضئيلٌ من تنفيذ ما يليق بتلك الحكمة، وبتلك العدالة)** [7]. فهنا نبه الإمام على أمرين أحدهما أن هيبة الحكومة وعظمتها مرتبطة بتوفيرها رعاية حقوق الشعب، وثانيهما أنه في العصر الذي عاش فيها وما زلنا نشاهد اليوم عدم توفر قدر كاف للعدالة التي يمكن الشعب من الاستقرار النفسي. لعل هذا يتمشى مع ما أكد عليه أحد المفكرين الغرب [8] : إن السلام يقابله العنف، وإذا قمنا بتحليل عمليات

العنف لوجدنا أن هناك شكلين أساسين من العنف. أولهما: العنف الأفقي، والذي يتمثل في العنف بين الأفراد والذي ينشر ويذاع بطريق وسائل الإعلام المرئية (التلفاز). ثانيهما : العنف الرأسي، والذي يكون نتيجة حتمية من السلطة التي تدافع عن مصالحها على حساب مصالح الآخر. وبالعكس من العنف الأول فإن هذا النوع من العنف مخفي عن الأعين ولا يظهر كما هو حال العنف من النوع الأول، والتي جرت به العادة أن القرارات التي اتخذها المجلس التعاوني أو الوكالات الدولية التي تكون تحت رعاية الدول الحاكمة كانت وراء ظهور هذا النوع من العنف. والواقع أن العنف الرأسي له دوره الفعال في إيجاد التحطيم والفساد. وصور هذه القضية أحسن تصوير بقوله : قد سبق لي حضور مؤتمر في يوليو سنة 1997. والمؤتمر نظمه وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية. إن قضية المؤتمر تتمحور في العلاقة الإسلامية –المسيحية. وفي الوقت الذي حضرت فيه المؤتمر، كان دولار واحد أمريكي يساوي بألفين وثلاثمأئة روبية إندويسية (2300). وبعد شهرين من المؤتمر –وبسبب الأزمة الاقتصادية- كان دولار أمريكي يعادل باثنى عشرة الف روبية ، وبسبب هذا تدهور إقصاد إندونيسيا. إلا أن الأمر في نيويورك جاء بطريقة عكسية حيث أن المضاربين في الشؤون المالية هناك يكسبون الملايين من الدولار، وهذا ما نسميه بـــــالعنف الإدراي أو الرأسي .إن القائمين على شؤون السوق على الصعيد الدولي والذين يتمتعون بقوتهم في السوق المالي العالمي، يستغلون سلطتهم لمصلحة اكتساب الأرباح المضاعفة. فما الذي يسفر عنه هذه الحالة المؤسفة ؟، والنتيجة من هذا حدوث الفوضي في جاكرتا في مايو 1998، والتي انتجت وقوع مجموعة من الضحايا، فتغتصب النساء، وتحرق البيوت والمحلات. وفي هذا الوضع الذي صورناه مارس الناس ما نسميه بالعنف الأفقي-العنف الذي تورط فيه الأفراد دون السلطة والذي يذاع وينشر في وسائل الإعلام المرئية العالمية وبصورة بشعة. وللأسف، حينئذ لا نجد أي عبارة تشير إلى العلاقة القوية بين العنف الرأسي الذي مارسه رجال الأعمال المالية العالمية وبين العنف الأفقي الذي اجتاح جاكرتا .

يستخلص من هذا أن العنف الذي ظهر فى السطح ليس إلا عنفا ظاهريا أنتجه عنف حقيقي مخفي لا يراه الأعين ولا ينشره التلفاز ولكنه الأخطر. إن غياب العدالة الاجتماعية يؤدي بطريقة حتمية إلى غياب السلام الذي ننشده ويحرز بطريقة ضرورية

ظهور العنف الظاهري الذي نعاني منه جميعا كالأمة ليست الأمة الإسلامية فقط بل العالم جميعا يجب أن يكون ضحية من عدم تحقق العدالة الذي يفرزه العنف الخفي.

هذه العدالة الاجتماعية التى أرادها الله تعالي أن تتحقق في الأمم كلها مستمدة من العدالة الإلهية التى تقضي بمنح كل شئ وجوداً بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة، وإلباسه صورة معينة، ووضعَه في موضع ملائم وفق عدالة وميزان مطلقين. وكذا، اعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه، أي اعطاء كل ما يلزم، وما هو ضروري لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج الى بقائه في افضل وضع، بل تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الانسان الصغير ثوابَه وعقابه لا على اساس صغره، بل على اساس ضخامة جنايته، وعلى اساس أهمية ماهيته، وعلى اساس عظمة مهمته [9]. إن تاريخ الإسلام حافل بالغرائب العجيبة التي لها دلالة على أهمية العدالة في سبيل تحقيق التفاهم وإصلاح العالم. ومن هذه الغرائب ما أورده الشيخ الإمام في المكتوبات لم يكد أحد يصدقه ولكنه أصبح حقيقة تاريخية. هذه الحقيقة هي **أن حاكما مسلما عزل قاضيه، لما رأى منه شيئاً من الحدة والغضب اثناء قطعه يد السارق. فما ينبغي لمن ينفذ امر الله ان يحمل شيئاً من حظ نفسه على المحكوم، بل عليه ان يشفق ــ من حيث النفس ــ على حاله دون ان تأخذه رأفة في تنفيذ حكم الله. وحيث ان شيئاً من حظ النفس قد اختلط في الامر وهو مما ينافي العدالة الخالصة فقد عُزل القاضي** [10].

قيمة " الأخوة " والإمام سعيد النورسي .

إن القرآن الكريم أعطى لنا نوعين أساسيين من القيم حتى يمكن من خلالهما ربط الأجناس البشرية المختلفة حتى تصبح مجموعة واحدة متحدة. فالقرآن الكريم علمنا بأن الإنسان الذي يعيش في هذه الأرض منبثق من آدم وحواء، وبهذا أصبح كل واحد منا بمثابة عضو من أعضاء أسرة واحدة. وهكذا، فإن القرآن علمنا أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الإنسان كلهم، وبهذا يكون كل واحد منا سواسية عند الله. فلا فضل للجنس الأبيض على الجنس الأسود مثلا، وكذلك الشعب الشرقي لا يمكن أن يتباهي بما عنده على الشعبي الغربي. فالقرآن– على كل حال –ينفى بصفة كلية كل موقف وتعليم يدعو

إلى التفرقة بين الشعوب ويعتبر أن أحدها أعلى مرتبة ومكانا من الآخر، وبالعكس صحيح .

لو انتقلنا من القرآن إلى السنة النبوية لنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم تعبير عن النموذج المثالي لشخصية تفهم حق الفهم كيف كان ينبغى العمل على إحراز التطوير والتقدم الثوري وبناء المجتمع الذي يتمتع بالعدالة الاجتماعية وبالأخوة الحقيقية. كان النبي ρ –على سبيل المثال–يخطب– وكان يطبق تطبيقا عمليا ما كان يقوله في خطبته– موجها لأمته في حجة الوداع، وكانت هذه الخطبة تعبيرا عن قمة رسالته، قال فيها : لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، كلكم من آدم، وآدم من تراب. والقرآن الكريم يؤكد مثل مفهوم الشمولية والنـــزعة العالمية هذا، في عديد من آياته بأسلوب لين وتفصيلي [11]. إن القرآن الكريم أعطي للإنسانية كلها وليس للمسلمين فحسب مبدئين أساسيين لتوحيد الشعوب في العالم في إطار وفاق ووئام عالمي. ذكر في سورة الحجرات الآية : 13 : **يا آيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** .

بين القرآن في هذه الآية أن هناك نقطتين مهمتين من شأنهما تحقيق الإحساس بالاتحاد العميق، وبهذا الإحساس سيتحقق بدوره الاحساس بالسلام بين الجنس البشري والجماعات الثقافية والدينية المختلفة في العالم. وهما : وحدة الإنسان كنتيجة حتمية من وحدة خالقهم، ووحدة الإنسان تأتي كنتيجة حتمية من وحدة المصدر يعنى آدم عليه السلام .

وفي ضوء هذه الآية يفهم أن الإنسان كله خلق من أبوين آدم وحواء. إن الجنس والعرق والقبيلة والشعب لا يتجاوز حد كونها رمزا أو تسمية من شأنها يتميز بها أحدهم عن الآخر. إلا أن حقيقة الأمر أنهم جميعا عند الله سواسية، وإن أكرمهم عند الله أتقاهم. إن الله عز وجل هو الذي خلق الإنسان كلهم، وبهذه النظرة أصبح كل فرد من أفراد الإنسان سواء عند الله .

إذا كان هذا يبدو مجرد نظرية يصعب فهمها وتطبيقها، فإن التاريخ سجل لنا أن النبي ρ سبق أن بنى مجتمعا قائما على هذه النظرية، مجتمعا يخلو من الصراع الداخلي. بل إن أ.ج.ويلس الذي اشتهر بكونه عالما يتميز بدقة نقده لسيرة حياة النبي ρ أكد على أن ما

قام به النبي ρ يعتبر له ملحمة وعبقرية فريدة في نوعها، ذلك لأنه في الحقيقة قام ببناء المجتمع الإنساني الذى أسس على المفاهيم الروحية للسلام .

وبناء على البحث العلمي الذي قام به عالم في مجال الثقافات في أمريكا [12] يستخلص منه أن إساءة الظن بقوم آخر، والانغلاق الثقافي (العصبية) وقفت أمام تحقق العلاقة الطيبة بين المجتمعات مختلف الثقافات. ومن المؤكد أن نفس هذا المعنى قد أشار إليه القرآن الكريم إشارة تفصيلية. [13].

لو انتقلنا من هذا إلى ما بذله الإمام سعيد النورسي من أفكار وأعمال ساعيا فيها إلى توطين قيمة الأخوة ليس فقط بين المسلمين بل مع الآخرين من جنس البشر لوجدنا أن الإمام كان في لحظة من لحظات عمره المتبقية لم يأل جهدا في التفكير في مصير أمته المستقبلية نحو المستقبل الأصلح وذلك بإحداث الوفاق والوئام بين البشر. أذكر على سبيل المثال – لا على سبيل الحصر – كان سعيد النورسي يدرك بان العلاقات بين المسلمين وبين النصارى لا تقتصر على مجرد تحالف المؤمنين في نقد وفي مواجهة خطر ايدولوجية المعاصرة والحداثة، او حل التناقضات او التعاطف مع الضحايا الابرياء، بل وجوب سير هذه العلاقات باتجاه السلام والمصالحة وحتى الصداقة. فقبل وفاته بخمس سنوات عندما قام بتأييد ''حلف بغداد'' قال بان فائدة هذا الحلف لا يقتصر في ان الاتراك كسبوا ''400'' مليوناً من الإخوان ومن الأخوات من بين المسلمين بل ان هذا الاتفاق العالمي أكسب الاتراك المسلمين صداقة ''800'' مليون مسيحي [14].

وفي سنواته الأخيرة بذل سعيد النورسي جهوده الشخصية في انشاء المصالحة والصداقة مع النصارى، فأرسل في سنة 1950 مجموعة من كتبه الى البابا بيوس الثاني عشر في روما وتسلم جوابه في 22 شباط سنة 1951 مع رسالة شكر شخصية. وان الشخص المراقب يلاحظ بانه لم يمر الا عشر سنوات على هذه الرسالة حتى اعلنت الكنيسة الكاثوليكية عند انعقاد المجلس الكنسي الثاني للفاتيكان احترامها وتقديرها للمسلمين وأكدت بان الاسلام كان طريقاً اصيلاً وحقيقياً للخلاص والنجاة. [15].

وقال في مناسبة أخري : (ولقد انتهى عهد الخصومة والعداوة ولقد اظهرت الحربان العالميتان مدى ما في روح العداوة من ظلم فظيع ودمار مريع. وتبين ان لا فائدة منها البتة. وعليه فلا ينبغي ان تجلب سيئات اعدائنا – بشرط عدم التجاوز– عداوتنا،

فحسبهم العذاب الالهي ونار جهنّم. ان غرور الانسان وحبّه لنفسه قد يقودانه احياناً الى عداء اخوانه المؤمنين ظلماً ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقاً. مع ان مثل هذه العداوة تعدّ استخفافاً بالوشائج والاسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض – كالايمان والاسلام والانسانية – وحطاً من شأنها. وهي اشبه ما يكون بحماقة من يرجّح اسباباً تافهة للعداوة كالحصيات على أسباب بجسامة الجبال الراسيات للودّ والمحبة)[16].

إن هذا يبدو عنده غير كاف، فراح ليؤكد أهمية الأخوة وخطورة العناد والعداء بقوله : (إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله، اذ يضيع الاخلاص!. ذلك لان المعاند الذي ينحاز الى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في اعمال البر التي يزاولها. فلا يوفق توفيقاً كاملاً الى عمل خالص لوجه الله. ثم انه لا يوفق ايضاً الى العدالة، اذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في احكامه ومعاملاته على غيرهم.. وهكذا يضيع اساسان مهمان لبناء البر"الاخلاص والعدالة" بالخصام والعداء) [17].

إن قضية الأخوة بين البشر –والمسلمين خاصة– قضية في وسعي أن أقول إنه من أهم القضايا التي تأخذ مساحة لا بأس بها في أفكار الإمام سعيد النورسي حيث يكاد يوفي هذا الموضوع حقه في " مكتوباته ". واستهله بتأكيد خطورة الشقاق والنفاق كنتيجة ضرورية مما يسببه الحسد والعناد بقوله : (إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في اوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض اصلاً. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الاسلام الذي يمثل روح الانسانية الكبرى. فضلاً عن ان العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة) [18].

الاستقرار النفسي والنظرة المادية للحياة :

إن العامل الفعال في بناء نشوء السلام العالمي هو تهيئة الأمن الفردي من توفير الرضا والراحة النفسية والاستقرار له. إن السلام العالمي لن يخرج إلى حيز الوجود إذا كان جُلُّالأفراد من الناحية النفسية والروحية لا يستطيع أن يتمتع بالإرتياح في نفسه. وذلك لأن الفرد عنصر أساسي فيما يسمى بالمجتمع الإنساني .

إذا حاولنا أن نلفت النظر في لحظة إلى مجموعة من الناس الذين في قبضة أيديهم سيطرة على السلطة كمن يتربع على عرش البيت الأبيض أو عـــــلى عـــــرش " Istana Merdeka " (قصر الحرية)، فالأمر الذي يتبادر إلى الذهن أن السلام العالمي يتوقف بقدر كبير على الارتياح والاستقرار الفردي لهؤلاء الأفراد. والنظرة العابرة إلى تاريخ العالم يؤشر -إلى حد ما-على أن فقدان مجموعة من الأفراد الذين يديرون العالم لارتياحهم المطلوب يؤدي إلى نشوء الحرب في كل مكان حيث أن سفك الدماء وعملية الهدم والتحطيم يمكن أن يحدث في أي وقت .

هذه الصورة إن دلت على الشيء إنما تدل على أن السلام والارتياح الذي يتربع في صموم قلب فرد من أفراد الإنسان يعطي بدوره أثرا وانطباعا إيجابيا للعالم الخارجي .

إن الاستقرار وتحقيق جوّ التسامح الذي تمر عليه حياة الناس والذي يأتي من داخل الإنسان يجعل التسامح في العالم حوله متحققا.

إن الزهد في المادة كقيمة دينية أصبح قضية مهملة من قبل زعماء العالم حيث جعلوا المادة هدفا فأصبحوا في هذه الحياة غير مستقرين نفسيا فعاشوا في كبرياء بأعلى درجاتها لأنهم يفعلون ما يشاءون دون أخذ مصالح غيرهم بعين الاعتبار.

من هنا تكمن أهمية ما أكد عليه الإمام سعيد النورسي في إحدى لمعاته وهي أن الحياة المادية والنظر إلى هذه الدنيا وكأنها حياة أبدية لا نهاية لها قد أثرت بشكل أو بآخر في غياب الاستقرار النفسي لهؤلاء الناس والزعماء على وجه الخصوص، فقال محذرا : (**ايها الانسان! ان من دساتير القرآن الكريم واحكامه الثابتة: أن لاتحسبنَّ ما سوى الله تعالى اعظمَ منك فترفعَه الى مرتبة العبادة، ولاتحسَبنَّ انك اعظم من شئ من الاشياء بحيث تتكبّر عليه. اذ يتساوى ما سواه تعالى في البعد عن "المعبودية" وفي نسبة المخلوقية**) [19].

إذا كان تحقق السلام له ارتباط شديد بتوفر الاستقرار النفسي لهؤلاء الزعماء الذين في قبضتهم زمام القرارات الدولية فإن أهم مقومات ودعائم هذا الاستقرارالنفسي النظرة إلي هذه الحياة حياة فانية لا تساوي شيا عند الله، والزهد في المادة الدنيوية. وبالتالي فإن هذه النظرة ستسفر عن حالة تتبدد فيها الميول إلى التكبر الذي ينظر إلى الآخرين بنظرة

دونية .

يجدر بنا أن نلفت أنظارنا إلى ما قاله الإمام مخاطبا نفسه به : (**اعلم ايها السعيد الغافل! انه لايليق بك ان تربط قلبك وتعلّقه بما لا يرافقك بعد فنـــــاء هذا العالم، بل يُفارقُك بخراب الدنيا! فليس من العقل في شـــئ ربطُ القلب بأشـــــياءَ فانية، ألا ترى ان فيك لطيفةً لاترضى الاّ بالأبد والأبدي، ولاتتوجه الاّ الى ذلك الخالد، ولاتتنـــزل لما سواه؟ حتى اذا ما اُعطيت لها الدنيا كُلها، فلا تُطَمأن تلك الحاجة الفطرية.. تلك هي سلطان لطائفك ومشاعرك.. فأطع سلطان لطائفك المطيع لأمر فاطره الحكيم جلّ جلاله، وانجُ بنفسك..**) [20]. وكان في يوم من الأيام خاطب أوربا الخبيثة التي تعتمد على الفلسفة المادية والطبيعية فقال : ايتها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود! تُرى هل يمكن ان يسعد انسانٌ بمجرد تملّكه ثروة طائلة، وترفّله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن ان نطلق عليه أنه سعيد؟ [21].

قيمة المحبة والإمام سعيد النورسي.

إن المحبة والاستقرار النفسي أساسان للتربية الروحية، إن الطبقات الاجتماعية في المجتمع الاسلامي مبنية على أساس " إن المحبة لله "، وكان الاستقرار والارتياح النفسي والرخاء من مؤشراته المميزة، فلذلك أكد الإمام سعيد النورسي قائلا : **ان لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التي وضعها الحديث الشريف: "الحب في الله والبغض في الله"[1] والاحتكام الى امر الله في الامور كلها، فالنفاق والشقاق يسودان.. نعم، ان الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مقترفاً ظلماً في الوقت الذي يروم العدالة**[22]. وهكذا، فإن الإخلاص والأخوة التي تبناها أثنان لله تعد في الإسلام خير الأعمال الصالحة. إن مثل هذا السلوك يتضح ويتمثل في عادة إسلامية، وهي عادة تبادل قراءة السلام بين اثنين في المجتمع الاسلامي، والتي تعنى بوجه من الوجوه أن يسأل أحدهم الله السلام والرخاء لمن يقرأ له السلام. إن قراءة السلام مثل هذه تقرأ وتسمع بطريقة مطردة إذا اجتمع اثنان وافترقا. كان النبي ρ يصرح بأن هذه الخاصة تعبر عن ميزة المجتمع السلمي. قال صلى الله عليه وسلم :(لا تدخلون الجنة حتى

تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) (الحديث) .

إن التربية الروحية مثل هذه لن تقوم بدور فعال في الحياة اليومة في مجتمع ما إلا إذا كان المعنى الحقيقي لكلمة " السلام " يتغلغل في ذهن من يقرأها. لا ينبغي أن نحقر أحدا بالأخطاء التي عملها أو لأنه وقع في أمر ما أو كان الدنس والوساخة وقعت في ثوبه. وهكذا، بل الأليق والأجدر به أن نجنبه منه بحكمة وبإحساس الأخوة وبأخلاق كريمة، وبمشيئة الله، -وفي وقت حدده-سوف يعرف بنفسه كيف يزكي نفسه ويبعدها عن الأمر الذي كان فيه. إذا تحقق وحدث هذا له، فبطبيعة الحال لا عمل لائقا به إلا أن نعطي له حبا وودا. إذا أبدينا له المحبة والمودة والسلام والعدالة، والسخاء فسيتبعها. لا ينبغي لنا كمسلمين النيل من أحد قائلا : فعلت هذا له لأنه ليس من مذهبي، هو مختلف الجنس عني، هو من جماعة أو جمعية غير جماعتنا وجمعيتنا، هو منهم وليس منا، وهكذا داوليك. وهذه كلها ليست بمشكلة، وإنما نحن في أمس الحاجة إليه هو كيف نحقق الاتحاد، والانغلاق الفكري لا يمكن أن يأتى لنا بأي طائلة .

فبناء على ما قلناه، علينا بالدفاع عن الأمور الحسنة وبتزكية أنفسنا عن كل الوساخ والدنس والتلوث. علينا بتصفية قلوبنا حتى تتلألؤ نورا. علينا بالنظر إلى ماوراء المشهود الخارجي والتسرب إلى ما في صموم القلب. وينبغي أن يكون الله عز وجل محسوسا وجوده في قلوبنا، وعلينا باختيار الكلام الذي يدل على وجوده عز وجل، وباقتداء صفاته الكاملة. وإذا كنا في لحظة من اللحظات تعرضنا للانـــزلاق والإفلات وأبدينا الغرور قائلين : إني عالم حقا وعرفت كثيرا من العلم، فاعلم أن الله عز وجل لا ينـــزل إلهاما ولا ينـــزل علمه وهدايته. إنما في وسعنا أن نكتسب المعرفة التي ألهمها الله إذا كنا نتمسك بحبل الله وعلى دوام التمسك به قائلين : أسلمت لله، أسلمت لله، وأعترف بأنه لا حول ولا قوة لي. إن مثل هذه التربية الروحية-كما أعتقد-ستحقق وتنمي -بمشيية الله- الاستقرار السلام العالمي .

إن المحبة لله وسيادته في المجتمع الإنساني تقوم بدورها الفعال في توطين الاستقرار الاجتماعي الإنساني، **وهذا واضح في قول الإمام سعيد النورسي في خطبته الشامية المشهورة مصرحا بان الكلمة او الاساس الرابع الذي يجب ان تقوم عليه الحضارة هو**

المحبة: ان اجدر شئ بالمحبة هو المحبة نفسها. واجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أي ان صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع الى تحقق السعادة هي أليق للمحبة، وان صفة العدواة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي اقبح صفة واضرها واجدر أن تُتجنب وتُنفَر منها[23] .

فان كنت حقاً تحب نفسك فلا تفسح له مجالاً ليدخل قلبك، وان كان قد دخل فعلاً واستقر فلا تصغ اليه، بل استمع الى حافظ الشيرازي ذي البصيرة النافذة الى الحقيقة حيث يقول: "نيل الراحة والسلامة في كلا العالمين توضحه كلمتان: معاشرة الاصدقاء بالمروءة والانصاف. ومعاملة الاعداء بالصفح والصفاء".[24].

خلاصة البحث :

إخوتي الكرام : إن القيم الدينية لنحن في أمس الحاجة إلى إبرازها واستغلالها في سبيل تحقيق الوفاق والصداقة والأمن بيننا نحن البشر. إن العدالة كقيمة دينية شاملة والعنف كظاهرة اجتماعية دولية أمران متلازمان في الوجود بمعنى أن تحقيق العدالة الاجتماعية يلزم منه زوال العنف، والعنف كما قلنا له اتجاهان أحدهما خطير والآخر أكثرخطورة ؛ العنف الأفقي الذي يحصل بين الأفراد وبين الشعوب. والعنف الرأسي (السلطوي) الذي يضطلع به السلطة والذي يتمثل في اتخاذ القرارات والسياسيات الدولية غير العادلة من قبل السلطة، وهذا أكثر خطورة من العنف الأفقي لأنه لم يظهر بقدر ما ظهر العنف الأفقي. فتحقيق العدالة كما يقتضى زوال العنف الأفقي يقتضى كذلك العنف السلطوى. وإن الزهد في المادة كقيمة دينية أصبح قضية مهملة من قبل زعماء العالم حيث جعلوا المادة هدفا فأصبحوا في هذه الحياة غير مستقرين نفسيا فعاشوا في كبرياء بأعلى درجاتها لأنهم يفعلون ما يشاءون دون أخذ مصالح غيرهم بعين الاعتبار، هذا ما صرح به سعيد النورسي في أحدى لمعاته : لا تعطي لغير الله قدرا من الأهتمام أكثر من اللازم إلى درجة أنك تعبده، ولا تعطي لنفسك قدرا من الإهتمام أكثر من اللازم إلى درجة إنه يؤدي بك إلى التكبر والغطرسة. وعلينا أن نتكاتف في تحقيق مبادئ الأخوة والمحبة التي تقتضي منا ممارسة المصالحة والانفتاح الحضاري وليس الصراع الذي يعود على محبتنا وأخوتنا بالهدم .

إخوتي الكرام الباحثين المفكرين الأجلاء : أختم هذا البحث المتواضع مني سائلا الله عز وجل عسى أن وفقني فيما كتبت من سطور فيما رأيته قراءات عابرة لأفكار الإمام سعيد النورسي الذي أعتقد أنه استحق أكثر مما فعلت له. لأنني موقن بأن الإمام بحر عميق بالقضايا القيمة التي لا نستطيع قط عرضها في صفحات عدة، لعل المؤلفات التي تحت أيدينا أقوى دلالة على ما قلناه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مراجع البحث :

- الأستاذ كانونغوا و مندونتشا : Ethical dimensions of leadership، 1996 .
-الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، "اللمعات" .
- الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية" اسطنبول 1996 .
- الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، "الكلمات" .
- الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، "المكتوبات".
-الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ملحق "اميرداغ".
- شكران واحدة، بديع الزمان سعيد النورسي.

-Azhar Arsyad " *Cross Cultural studies and the Actuliz-ation of Islamic Values*" , Jurnal pendidikan Islam, Malaysia , 1998 .

-Barna La Ray , Stumbling Bloks in Intercultural Communication in samovar et all (eds) , *Intercultural Communication: A Reader* , Belmont: .Wards worth publishing company , Inc 1982

-Ruben, Brent, *Human Communication and Cross Cultural Effectiveness*, WPC, Inc, 1982 .

-Samovar et all (eds) , *Intercultural Communication: A Reader*, Belmont: Wardsworth Publishing Company, Inc. 1982 .

-إسرار أحمد، القرآن والسلام العالمي ،طبعة طاها فابليشر في سنة 1980م .
- جون.ج. راينيس، بحث قدمه لمؤتمر حول السلام تحت لواء القرآن والذي نظمه جامعة علاء الدين الإسلامية في 2001 .
-دين ج.بارلوند، Communication in a global village، بيلمونت : وادسوورث، أ.ن.ج.1982 .
- محاضر محمد، A muslim perspective on the New World Order، نيوورك، أميريكن فونديشن، 1991.

الهوامش

(1) يراجع : دين ج.بارلوند ، Communication in a global village، بيلمونت : وادسوورث ، أ.ن.ج.1982 ص 4-5 .

(2) ملحق "اميرداغ" 1 صفحة 190 ، 202 .

(3) اللمعات" صفحة 146 رسالة الاخلاص والاخوة / اسطنبول 1991 صفحة 13]

(4) الحديث عن الطمع والأنانية يذكرني بكتاب كتبه الأستاذ كانونغوا و مندونتشا تحت عنوان : Ethical dimensions of leadership ، 1996 والذي يجدر من وجهة نظري بقرائته وتأمله . وظف الأستاذان ما صرح به ريدر والذي يقول فيه : إذا تغلغل الطمع هناك من أجل المادة ، فكيف نستطيع أن نميز بين الحيوان في صورة الأنسان وبين الحيوان نفسه .

(5)[المكتوبات : 348].

(6)يراجع : شكوى محاضر في A muslim perspective on the New World Order، نيويورك، أميريكن فونديشن ، 1991، ص 8 .

(7) الكلمات ص 50 .

(8) بحث قدمه جون.ج. راينيس لمؤتمر حول السلام تحت لواء القرآن والذي نظمته جامعة علاء الدين الإسلامية بمكاسر-إندونيسيا في 2001م .

(9) الكلمات ص 69 .

(10)[المكتوبات : 348] .

(11)يراجع مثلا الآية : 1 من سورة النساء .

(12)يراجع :

Samovar et all (eds) , Intercultural Communication: A Reader, Belmont: Wardsworth Publishing Company, Inc. 1982 p 322 , Ruben, Brent, Human Communication and Cross Cultural Effectiveness, WPC, Inc, 1982 p 331, Barna samovar et all (La Ray , Stumbling Bloks in Intercultural Communication in eds) , Intercultural Communication: A Reader , Belmont: Wards worth publishing company , Inc 1982 , and Azhar Arsyad " Cross Cultural studies and the Actuliz-ation of Islamic Values" , Jurnal pendidikan Islam, Malaysia , 1998 p 87-95

(13)يراجع : سورة الحجرات و إسرار أحمد ، The Quran and world peace, ، طاها بابليشر ، 1980ص 12 .

(14) [ملحق "امير داغ" صفحة 24 – 56 نقلا عن واحدة شكران صفحة 354]

(15) [بديع الزمان سعيد النورسي" تأليف: شكران واحدة صفحة 344]

(16)[الخطبة الشامية" اسطنبول 1996 صفحة 509]

(17)[المكتوبات : 350]

(18) [يراجع : المكتوبات : 339] .

(19)[اللمعات ص 175] .
(20)[اللمعات ص 174] .
(21)[اللمعات ص 177] .
(22)[المكتوبات : 348].
(23)[صقيل الاسلام/ الخطبة الشامية" اسطنبول 1996 صفحة 509]
(24)[المكتوبات : 345]